

الحكم الذاتي في المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

(تمة)

فأما أن يضع في نطاق اعتبارهم حالة ما لم يتناولها رأيهم ، وإما أن يسألهم مباشرة عما إذا كان خطر ببالهم أنهم أغفلوا اعتبار عامل من العوامل . فإذا أدى بهم هذا إلى أن يعيدوا النظر في رأيهم ويصلوا بذلك إلى كنهه المسألة ، فإن المدرس يكون حينئذ قد اصطنع الإيماز السلبي ليعينهم على الوصول إلى هذا الرأي الصحيح . وإذا لم يستطيعوا الوصول إلى هذا الرأي الصحيح فعلى المدرس حينئذ أن يدعمهم وما وصلوا إليه : فإنهم سيذكرون بالخبرة أنهم كانوا على خطأ ، وأنهم لم يدخلوا في اعتبارهم جميع الحقائق

وهنا مسألة ثالثة هي مسألة تأثيرات repercussions الحكم الذاتي . فالحكم الذاتي تأثير فيما يتعلق بالحياة ، وتأثير فيما يتعلق بالنجاح في الحياة . ولنتكلم عن كل من هذه التأثيرات

١ - فيما يتعلق بالحياة

من وجوه النقد التي يمكن أن توجه إلى نظام الحكم الذاتي أنه يجبل التلاميذ على أن يحيا حياة مثلى بينها وبين واقع الحياة أمد بعيد ، بحيث أنهم حين يلبسون باب هذه الحياة يجدون أنفسهم مضطربين إلى أن يفصلوا مما نشؤوا عليه لينغمروا فيها هم فيه والجواب على هذا الاعتراض أن الحكم الذاتي حين ينشئ التلاميذ على أن يحيا هذه الحياة المثلى يعمل على إصلاح واقع الحياة وعلى معالجة ما فيها من عيوب . أما إذا نشأ التلاميذ على أن يحيا حياة تشبه حياتهم الواقعة فإنه حينئذ لا يضطلع بأى إصلاح ، وإنما يضمن للحياة الواقعة بقاءها على ما هي عليه من تخلف وقصور .

وهناك جواب آخر يتلخص في أنه يلاحظ دائماً في أن التلاميذ يسلكون مسلكاً مضاداً لما يريد عليهم أساتذتهم . فإذا كان أساتذتهم يريدونهم على اعتناق الآراء القديمة البالية ، فإنهم على العكس من ذلك يمتنعون الآراء الثورية الهادمة ، وإذا كانوا يريدونهم على اعتناق الآراء الثورية المجددة فإنهم على العكس من ذلك ينتهجون نهجاً محافظاً . فهذه الحال الأخيرة هي ما نراه في نظام الحكم الذاتي . على أننا لا نقصد بالمحافظة

وهناك مسألة أخرى يصح التحدث عنها ، وهي مسألة الإيماز suggestion والحكم الذاتي

فلإيماز أشكال كثيرة . ومن أعود هذه الأشكال بالفائدة شكلان : الإيماز الإيجابي ، والإيماز السلبي . والإيماز السلبي فيما يبدو أكثر فائدة في مضمار التربية

فالرأي يركن إلى الإيماز الإيجابي حين يجد تلميذه أو تلاميذه بهيجون سنناً يؤدي بهم فيما بعد إلى إغوجاج تربوي . فإذا لم يرعو تلميذه أو تلاميذه عن انتهاج هذا السنن فله حينئذ أن يسلك أحد سبيلين : فإما أن يصطنع المسف ، وإما أن يرفض تحمل مسئولية ما يحدث . وصفوة القول أنه إذا وجد المربي تلميذاً ينتهج سناً في انتهاجه ضرر تربوي ، فعليه إذا استطاع أن يحول بينه وبينه ، وإلا فليخبر من بيدهم القوة

على أنه يجب ألا يركن إلى الإيماز الإيجابي كثيراً ، ولكن إذا مست الحاجة إليه فليصطنع بغير تردد

أما الإيماز السلبي فهو أدعى إلى الاهتمام . ذلك لأنه الوسيلة التي يصطنعها المربي لتدريب تلاميذه على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب ، وبذلك يعمل على أن يحقق لهم شخصيتهم العقلية . ومتى مرر هؤلاء التلاميذ على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى مرحلة العمل الثمر

ولنضرب للإيماز السلبي مثلاً نوضح به هذا الذي نقول . فلنفرض أن هناك فصلاً يصطنع فيه الحكم الذاتي ، وأن تلاميذ هذا الفصل يبحثون مثلاً مشكلة التأديب . فهناك نجد هؤلاء التلاميذ عاطلين من العقول الناجمة ومن الخبرة بالحياة ، وأنهم لهذا يغفلون في اعتبارهم بعض الأحوال ، فإذا ما وصلوا إلى رأي ما في هذه المسألة ، فإن رأيهم هذا يكون رأياً مبتسراً غير مبني على اعتبار جميع الأحوال . وهنا يأتي دور المدرس ،

إلا أنه نوع من البلشفية Bolshvism ، نوع من البلشفية يتخلل فيه المدرس عن سلطته التقليدية ليتولاها عنه التلاميذ ، وهم يقولون إنهم لا يحددون بما يزعمه أصحاب هذا النظام من حق المدرس في الإشراف والتوجيه . ذلك لأنهم لا يعترفون بسلطة إلا سلطة المدرس ، ولا يؤمنون بحق إلا حقه

فهؤلاء هم خصوم الحكم الذاتي . على أنهم لن تقدر لهم الغلبة عليه . ذلك لأنه سدى للحياة المتجددة ، وهم سدى للقديم المورث في القدم ؛ وكيف يميت السدى الحى سدى كاد يأكله الفتاة ؟ ألا إن الحياة لا تبقى إلا على ما يسايرها في سيرها الأبدى ، أما ما يتخلف عن مسايرتها فقد حق عليه أن يموت على مدرجة الطريق غير مرئي من أحد أو مبكى من أحد . هذه سنة الحياة ، وسنة الأحياء ، وسنة كل شيء .

السيد يعقوب بكر

هنا الجمود ، بل المحافظة على خير ما في التراث القديم من تقاليد ثبتت على محك الزمان . ومعنى هذا كله أن نظام الحكم الذاتي يثبت في نفوس التلاميذ روحاً محددة ولكن على أساس من القديم ، روحاً تجمع بين طرافة الجديد وعرافة القديم ، روحاً تجدد ولكن لا تبدد

٢ - فيما يتعلق بالمنزل

لا شك في أن نظام الحكم الذاتي الذي ينشأ عليه الطفل في المدرسة يطبع هذا الطفل بطابع خاص ويحمله شخصاً آخر ويثبت فيه روح الحرية والشجاعة ، بحيث نراه في المنزل وقد خلع رداءه القديم ، فأخذ يُكثر من الأسئلة ويجادل أبويه ولا يكتم رأياً من آرائه ، ويصبح بذلك كله مبعث فوضى واضطراب في البيت . ولكن بمرور الزمن نجد هذا الطفل قد أخذ يستشعر روح السعادة ، ويكون بذلك مبعث سعادة في البيت .

فإذا ما لام والداه بين نفسيهما وما يعتقدان من رأى فإن الحكم الذاتي يكون حينئذ قد امتد أثره إليهما عن طريق غير مباشر . أما إذا لم يستجيبا له فهما على الأقل سيضطران إلى معاودة النظر في فلسفتهم في الحياة .

وصفوة القول أن للحكم الذاتي في المدرسة يدأ تستطيع أن تمتد إلى المنزل فتتناوله بالتغيير والتبديل .

٣ - فيما يتعلق بالجماع في الحياة

يخيل إلى أن نظام الحكم الذاتي يؤهل التلاميذ لأن يكونوا في المستقبل رجالاً يقومون بما تفرضه عليهم الحياة من واجبات ، وزعماء يقودون الجماعات ويسوسون الجماهير . وليس من شك في أن هذا راجع إلى ما يثبه نظام الحكم الذاتي في نفوس التلاميذ من الاعتماد على النفس والقدرة على سياسة الغير .

وللحكم الذاتي أنصار وخصوم . فكما أن له أنصار ينادون بوجود اصطناعه في كل مدرسة فإن له خصوماً لا يفهمون منه

ظهر اليوم الكتاب الأول باللغة العربية
من سلسلة خلاصة الفكر الإسلامي

اعترافات الغزالي

للدكتور عبد الدايم أبو العطا البقرى

وقد عرفت هذه السلسلة في البيئات العلمية حيث طبع منها أربعة كتب باللغات الأجنبية المختلفة بدقة العرض ، وجراًة النقد ، وعمق الفكرة ، وبعث روح الإسلام

الثنى ٢٠ قرشاً و ٣ للبريد

الناسخ

دار الكتب الوطنية

ميدان الأوبرا مصر - ت ١٩٥٦١